المعرّبُ والدخيل ضرورِيان لازدهارِ اللغةِ

الأستاذ نورالدين صمّود

ان جميع اللغات المتطورة لا يمكن ان تسلم من ان تدخلها كلمات من لغات اخرى .. وتلك علامة من علامات تطورها وحياتها ، اذ لو اقتصرت اللغة ــ اية لغة ــ على الفاظها لتوقفت عن التطور ، ولما كانت جديرة باسم لغة حية .. ولقد كانت اللغة العربية فى عهد حياتها المزدهرة وحيويتها المتدفقة تتاثر بغيرها وتؤثر فى غيرها اخذا وعطاء .. فقد اخذت من لغات الاقوام المجاورين لها ما شاء الله لها ان تاخذ ، فتلك طبيعة الحياة وذلك هو شان اللغة الحية .. وقو وقع ذلك فى الجاهلية وفى صدر الاسلام .. ايام نزول الوحى على الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ، ورغم ان بعض المفسرين للقرآن الكريم يرون ان القرآن لا يشتمل على الفاظ غير عربية صريحة ، فان الباحثين الرصينين قد اثبتوا وجود الفاظ من لغات كثيرة فى القرآن الكريم · ولقد كانت للعرب صلات مع الحبشة لذلك كانت هجرة المسلمين الاولى الى بلاد الحبشة قبل هجرة النبى صلى الله عليه وسلم الى يثرب (المدينة المنورة) ·

1) ولهذا نجد فى القرآن سبعة وثلاثين لفظة حبشية ، منها : الملائكة ، وجهنم ، والجبت (اى الشيطان او الساحر) وكلمة المنافقين ، وفطر (اى شق) ، ومشكاة (اى كوة) ، ودرى (اى مضىء) ، واوبى (اى سبحى) ، وقسورة (اى اسد) ، وارائك واخدود ، الخ.. الخ ·

2) كما نجد فى القرآن ايضا خمسة وعشرين لفظة من اللغة السريانية ، منها : اليم ، وعدن ، وسريا (اى نهرا) ، ورهوا ، (اى ساكنا دمثا) ، واسفارا (اى كتب) ، كذلك الكرسى ، والقيوم ، والقمل ، وهيت لك ، واللوح · الخ ..

3) اما اللغة العبرية فاننا نجد من الفاظها فى القرآن الكريم سبعة عشر لفظة ، منها : اخلد (اى ركن) ، كفلين (اى ضعفين) ومرقوم (اى مكتوب) · وهدنا (اى تبنا) ، وملكوت ، الخ ..

4) اما اللغة النبطية فتوجد فى القرآن من الفاظها احدى عشرة لفظة ، منها : تتبيرا ، ومناص (اى فرار) ، واكواب (اى اكواز) ، وصرهن (اى شققهن) ، واصرى (اى عهدى) ·

تلك نماذج من الالفاظ التى دخلت القرآن من مجموعة اللغات السامية . وهنـاك الفـاظ دخلت القرآن الكريم من المجموعة الهندية الاوروبية : اى اليونانية والفارسية والهندية .

5) فمـن الالفاظ اليونانية الموجودة فى القرآن الكريم عشر الفاظ ، منها : اقلامهم وقنطار ، والرقيم (اى اللوح او الكتاب او الدواة) ، والفردوس ، وقسط (اى عدل) ، ومرجان ، والصراط ، والقسطـاس (اى الميزان او العدل) ، الخ الخ .

6) اما الفارسية ، ففى القرآن الكريـم مـن كلماتها عشرون كلمة ، منها على سبيل المثال : دينار ، وكنز ، وتنور ، وسجيل ، وسندس ، ومقاليـد ، وبرزخ ، وياقوت ، وأباريق ، وزنجبيلا ، وكـورت (اى غورت) ، ومسك ، واستبرق ، والسجل ، الخ .

7) ما الكلمات التى هى من اصل هندى والداخلة فى القرآن الكريم فعددها اثنتان : ابلعى (بمعنـى اشربى) وطوبى : (اسم للجنة) .

8) اما الالفاظ المنسوبة الى المجموعة الحامية : اى البربرية والقبطية والزنجية .

فمن البربرية لغة شمال افريقية ، ثلاث كلمات، هى : اناه (اى نضجه) فى قوله تعالى : « يا ايهـا الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه » (اى غير منتظرين نضجه) وكلمة يصهر (بمعنى ينضج) ، والمهـل (وهـو عكـر الـزيت) .

9) ومن القبطية توجد فى القرآن الكـريم ست كلمات ، منها : بطائنها : (اى ظواهرها) ، ومزجاة (اى قليلة) ومتكأ (اى الاترج او الترنج) .

وفى القرآن الكريم لفظة واحدة زنجيـة هـى : حصب (اى حطب) .

10) اما مجموعة اللغات الطورانية فلا نجد من الفاظها فى القرآن ، سوى لفظة تركية : هى غسـاق (اى بارد منتـن) .

11) وبالاضافة الى ما سبق ذكره مـن الفاظ نسبنا كلا منها الى اصلها اى الى لغتها ، فاننا نجد الفاظا اخرى يصفها علماء اللغة بانها غير عربية او اعجمية دون تحديد للغة معينة ، وعددهـا احـدى وثلاثون لفظة ، منها : الرس (اى البئر) وسقر (من اسماء نار الآخرة) ، وقرطاسا وسلسبيلا وابا (اى الحشيش) .

وهكذا فان جملة الالفاظ الدخيلة فى القرآن الكريم من لغات الاقوام المعاصرة والمجاورة للعرب او البعيدة عنهم سبعة وخمسون ومائة كلمة (157) تسربت الى العربية من عشر لغات بعضها قريب الاصل من العربية وبعضها بعيد كل البعد عنها .

هناك ملاحظة بديهية منطقية تستنتج مما سبق عرضه ، وهى ان اللغات التى احتك اهلها بالعـرب تكثر الفاظها فى القرآن ، مثل الفارسية . اما اللغات التى لم يكن لاصحابها احتكاك او اتصـال حضارى بالعرب ، فان الفاظها تقل فى القرآن الكريم مثـل البربرية والتركية ، وهذا طبيعى مثلما هـو الشان بالنسبة للفرنسية التى تكثر الفاظها فى لهجتنا التونسية، ثم تليها الايطالية بحكم مجاورتنا ومعايشتنا لاصحاب هاتين اللغتين .. اما الالفاظ الانجليزية والالمانية فانها اقل من سابقتها بكثير .. وان كانت قد بدأت تكثر فى الآونة الاخيرة بحكم النشاط السياحى فى تونس .

وهناك ملاحظة اخرى وهى أن ما ذكرناه مـن الالفاظ الدخيلة فى العربية قد استعملت فى كتاب الله عز وجل، ولم نورد هنا الالفاظ التى استعملها الكتاب والشعراء ولم يرد ذكرها فى القرآن الكريم ونكتفى بذكر نماذج مما ورد مبدوءا بحرف النون ، منها :

النـاى : آلة طرب ينفخ فيها .

النارجيلة : الجوز الهندى وآلة يدخن بها .

---

(1) اعتمدنا فى ذلك على كتاب القـراءات القرآنية فى ضـوء علم اللغـة الحـديث للدكتـور عبـد الصبـور شاهيـن .

وبالاضافة الى ما سبق فان الكلمات الدخيلة قد هضمت العربية بعضها وصارت تتصرف فى هذا البعض وتصرفه كما هو الشأن بالنسبة لالفاظها الاصلية .. ولكن اشتعصى عليها البعض الآخر فبقى جامدا لا يتصرف ولا يستعمل الا فى حالة واحدة. فمن المتصرف كلمات مثل : المنافقين : نقول نافق ينافق نفاقا ، والصراط : طراطى وصراطك ، الخ · وابارىق ،، ابريق ،، الخ ..

واما الكلمات التى لا تتصرف ، فمثالها : طوبى والرقيم والمهل ، الخ ·

كما فعلنا نحن فى لهجتنا التونسية بالفاظ دخلت الينا من بعض اللغات اللاتينية كقولنا (بلاصتى) و (بلاصتك) ، الخ · (وتلفت لك) (وتلفت لى) الخ (وروبتى) (وروبتك) الخ ·

واذا استطاعت اللغة ان تأخذ الالفاظ من اللغات الاخرى وتخضعها لمتطلباتها فانها لغة حية جديرة بالتطور والبقاء والازدهار .. اما اذا اكتفى اصحابها بالالفاظ التى عرفها آباؤهم واجدادهم وارادوا ان يعيشوا بها فى هذا العصر والعصور القادمة ، فانهم واهمون سادرون فى احلامهم لا يفهمون معنى حياة اللغة ..

لقد كان القدماء اجرأ منا على الاخذ من اللغات الاخرى وعلى صهر تلك الالفاظ فى لغتهم لتصبح منهم واليهم ،، لقد قرأت مرة فى معجم اصدره مكتب تنسيق التعريب فيه قل (بستانى) ولا تقل (جردينى) واصحاب هذا المعجم يعرفون جيدا ان كلمة بستانى فارسية الاصل دخيلة على العربية ، فلماذا لم يرفضوها كما رفضوا كلمة (جردينى) الفرنسية الاصل .. وواضح أن كلمة بستانى قد اكسبها الاستعمال العربى عروبة · اما كلمة جردينى فانها لم ينلها هذا الشرف ، لذلك لم يستسغها مكتب تنسيق التعريب ،، وانا اقول لهم : ولكن دعوها — هى وامثالها — تستعمل فى العربية عقدا أو عقدين من الزمن وسترون انها لا تقل عن البستانى عروبة وفصاحة .. ومهما يكن من امر فانى لا الح على استعمال كل ما هو دخيل فى العربية مثل كلمة (الجردينى) وما جرى مجراها .. فأمر هذه الالفاظ هين يمكن ان يعثر له على نظير فى العربية الفصيحة .. ولكن الذى ارى وجوب تعريبه وتبنيه هى الالفاظ التى لا وجود لنظير لها فى العربية ويجب ان تؤخذ بحروفها كما تنطق فى اللغات الاجنبية لان تعريبها لا يؤدى المعنى المطلوب .. ويكفى أن تكشف غطاء (محرك السيارة) لترى الاشياء التى عليك ان تبحث لها عن اسماء (*) ولا ازعم ان ايجاد اسماء عربية لاجزاء السيارة امر مستحيل ولكنى اعتقد ان امكانية تعريبها امر ممكن ، كما وقع بالنسبة لمصطلحات الكرة التى صارت وكأنها من وضع الخليل ابن احمد أو ابن منظور ، فهناك : الركنية والتسلل والمهاجم والمرمى وحارسه والهدف .. الخ الخ · ولكن ما الذى جعل هذه الالفاظ مقبولة بعد تعريبها ؟ ؟ ! ان الاستعمال هو الذى جعلها حية .. وكثرة الترديد هو الذى جعلها مقبولة .. فقد كانت فى أول العهد باستعمالها تثير الضحك والسخرية ..

واعود فأقول : ان اسماء اجزاء السيارة يمكن تعريبها ولكن على شرط ان يقع استعمالها باستمرار من قبل الناس جميعا من المشترى لهذه القطع ، ومن بائعها ومن مصلحها ومركبها وصانعها ، الخ الخ · وما لم يحدث ذلك فانى ارى اننا ما دمنا مقدمين على الفاظ جديدة غير معروفة ، فانه يحسن — للمحافظة على الامتداد الحضارى — ان يقع اخذ تلك الالفاظ واستعمالها كما هى عند صانعيها .. مع امكانية اخضاع تلك الالفاظ للنطق العربى كما فعل الاجداد مع كلمات الصراط التى لعلها كانت تنطق عند اليونان (سيراتوس) .. الخ الخ ·

لقد كانت اللغة العبرية لغة ميتة لا يعرفها الا الربيون فى البيع ، ولكنهم صيروها لغة حية يدرسون بها العلوم بشتى فروعها ، وما ذلك الا لانهم اخذوا من اللغات الحية ما يحتاجون اليه من الالفاظ واخضعوه الى لغتهم وكتبوه بحروفهم · لقد زعموا ان غلاما سأل ابا العلاء المعرى ، فقال له : انت القائل :

(*) فى المعجم العسكرى الموحد اسماء عربية لكل اجزاء السيارة والطيارة والمدفع وغيرها .. (اللسان العربى) ·

النارنـــج : من فصيلـــة البرتقـــال ·

النـــرجس : زهـــر معـــروف ·

نـــــرد : لعبـــة الطـــاولـــة ·

الـــنـــــد : عـــود يتبخـــر بـــه ·

النمـــوذج والانمـــوذج ·

النـــفـــيـــر : البـــوق ينفـــخ فيـــه ·

النيزك ج نيازك : شعلة كبرى كالرمح وهـــو احد اقسام الشهب المتساقطة ·

النســريـــن : ورد ابيض عطـــرى ·

النليوفـــر : زهـــور مائيـــة ·

والنيـــروز : اول يوم من ايام السنة الشمسية فى فارس ، (وكلها فارسية) ·

والنبـــراس : المصبـــاح (سريانيـــة) ·

نيســـان : شهر افريل (سريانية ايضا) ·

والناطـــور : حافظ الكرم والزرع (سريانية ايضا)

النـــاسـور : مرض (يونانيـــة) ·

والنـــاموس : جبريل (يونانية ايضا) ·

تلك مجموعة من الالفاظ الدخيلة التى عربهـــا العرب فى مختلف عصورهم القديمة باستعمالهم اياها فى لغتهم وهى من باب حرف النون ، وقد ضربنا صفحا عن الكلمات المأخوذة عن اللغات الحديثة ، اى التـــى لم يعرفها العرب فى عهودهم القديمة ، مثل كلمة : النازية الالمانية والنيلون الانجليزية ، وغيرهما · او القديمة غير المستعملة مثل : النافجة : ج نوافج (اى وعاء المسك) ، والانجر (ج اناجـــر) اى (مرساة السفينة) ، والنبريج : انبوب النارجيلة ، والنيل : نبات يصبغ به ازرق (وكلها فارسية) ، والناردين ، (نبات طيب الرائحـــة) ·

والنافور : سر القربان المقدس ، والصلـــوات التى تتلى عليه ، وغطاء اوانى القداس (وهما يونانيتان) وغيرهمـــا ، وغيرهما ·

ولا نريد ان نستعرض الكلمات المستحدثة فـــى هذا الباب مثل : النقابة والنقيب والنسبية ، الخ الخ ·

فالكلمات المستحدثة او التى حولت عن معناها الاصلى لا تكاد تحصى مثل : الصلاة والزكاة والوضوء، والشهادة · فهناك شهادة أن لا اله الا الله وشهادة التحصيل ، والشهادة الاهلية ، وشهادة التبريـــز ، وشهادة الزور ، وشهادة الفقر الخ .. الخ · ولـــو عرضت هـــذه الكلمات والكلمات التالية على امرىء القيس او احد معاصريه لانكرها ، مثل : القطـــار ، والعربة ، والجريدة ، والمجلة ، والرشـاش ، والمسدس والمدفع ، والكشـافة ، والجوالة ، والمليون ، والمليار ، والفلسفة ، والجغرافيا ، والامبريالية والبروليتاريا ، والديمقراطية ، والبيروقراطيـــة ، والديماغوجيـــة ، وغيرها من الفصيح والدخيل ·

كما لا نريد ان نستعرض الكلمـــات الدخيلـــة المبدوءة ببقية الحروف الهجائية ، فهى كثيرة جدا لا تكاد تقع تحت حصر .. ولكننا نكتفى بما اشرنا اليه آنفا .. وخاصة بما جاء فى القرآن الكريم ·

والملاحظ ان كثيرا من الالفاظ الآنفة الذكـــر لم يستعملها العرب اضطرارا باعتبارها الفاظا لا نظير لها فى العربية ، فمعظمها يمكن أن نجد له بديلا فـــى اللسان العربى .. وكان فى الامكان أن يقع تجنبهـــا وذكر ما يقوم مقامها .. ومعظم هذه الالفاظ شـــاع على السنة العرب القدماء حتى صار جزءا من لغتهم لا يكادون يميزون بينها وبين ما هو اصيل فى اللغـــة العـــربيـــة ..

وبديهى ان نطـــق تلك الالفاظ المشـــار اليهـــا — وغيرها من الدخيل — مغاير للنطق الاصلـــى فى اللغات المذكورة ، بل ان الكثير منها — ان لم اقل كلها — ينطق فى لغتها الاصلية بطريقة مغايرة لمـــا ينطق به عند العرب .. وهذا أمر طبيعى ، لان نطق كل لغة يختلف عن نطق اللغات الاخرى ..

---

(1) اعتمدنا فى ذلك على (المنجد) فى اللغة للاب لويس معلـــوف ·

ولـو انـنـى كنت الاخيـر زمـانـه *
لآت بمـا لـم تستطعـه الاوائـل ؟

لقد زعمت انك لو عشت الى آخر الزمان لاتيت بما لم يستطع الاتيان به جميع الاوائل ، فهل تستطيع أن تزيد حرفا واحدا على الحروف الهجائية العربية المعـروفـة .. ؟

وقد زعموا ان المعرى عجز امام هـذا السؤال وقال بعد انصراف ذلك الغلام : ان هذا الفتى لـن يعيش طويلا لان ذكاءه سيحرق عقلـه .. وتـزعم الاسطورة ان الفتى مات وصدقت نبوءة المعرى ..

والحقيقة أن اللغة لا تحتاج الا الى حروفها ما دامت لا تستعمل الا الفاظها ، أما اذا ارادت ان تواكب الحياة من حولها فانها ستحتاج حتما الى حروف اخرى والا فان كتابتها ونطقها لكثير من الكلمات الاجنبيـة سيظل تقريبا ولست ادرى كيف غاب عن المعرى ان يضيف حرفا او اكثر من حرف الى الابجدية العربية المعروفة فى زمانه ، فقد عاصر عدة امم ذات لغات مختلفة ، ولنا اخبار تؤكد انه سمع اللغة الفارسيـة على الاقل وفيها حروف لا توجد فى العربية مثـل : الف والف والب ، بصرف النظر عن طريقة كتابتها . واذا كنا نحن فى لغتنا الحديثة قد تبنينا هذه الحروف واصبحنـا نستعملهـا ، فـاننـا غـير جادين تجـاهـهـا وتجـاه غيـرهـا مـن الحـروف التى أخذناها من اللغات الحية ، فلم يقرا حساب هذه الحروف فى المطابع الحديثة فى المشرق والمغرب ، لذلك ما زلنا نكتب فى تونس كلمات : (قراج) بالقاف وتكتب فى مصر بالجيم (جراج) وتكتب (أفريـل) بالفـاء و (ستوب) بالباء وقلما نجد مطبعة تستعمل لهذه الحروف مصطلحات قارة .. فهى غير موجودة فى العالم العربى ، ويطول بنا الحديث لو فصلنا القول فى هذا الموضوع ولكننا نكتفى بهذا التلميح لنعود الى موضوعنا الاصلـى .

ان هذه الحروف التى اقترح الاعتراف بها فـى العربية ضرورية لكتابة كثير من الكلمات التى يمكـن أن تتبناها العربية لذلك يجب توفيرها فى المطابع بجميع انواعها ، ويجب الاتفاق عليها من قبل جميع الـدول العـربيـة ..

واذا كنا قد لمسنا حاجة لغتنا الـى الحـروف (الصوامت) التى لا وجود لها فيها فاننا نلاحظ حاجتنا الملحة الى الحروف (الصوائت) ففى العربية توجد منها : الضمة والكسرة والفتحة فقط ، وهى الصوائت القصيرة الى جانب (الصوائت) الطويلة ، وهى : (الواو والياء والالف) عند ما تكون حروف مد : مثل (يقول ــ قيل ــ قال) فهل نحن لا نحتاج الا الى هذه الصوائت فى لغتنا العربية دون غيرها ؟

الحقيقة اننا محتاجون الـى أكثـر مـن هـذه (الصوائت) الستة ، فهى لا تكاد تؤدى حاجة اللغة العربية فضلا عن الدخيل ، ويكفى أن نعرف ان القدماء كانوا يقولون عن بعض الافعال المعتلة العين انهـا تنطق بالاشمام ، اى بين الضم والكسر مثل : (قيل) فينطق حرف العلة بين الياء والواو . وما هذه الملاحظة الطويلة الا لعدم وجود حركة واحدة بين الواو والياء . وكثيرا ما نحتاج الى هذه الحركة والى امثالها ممـا يقـاربهـا .

ونحن نعرف فى العربية (الفتحة القصيرة ــ اى النصبة) و (الفتحة الطويلة ــ اى الالف) تـارة نجدهمـا مرققتيـن وتـارة اخـرى نجـدهمـا مفخمتين حسب الحرف الـذى تليناه فاذا قلنا : خ ــ ص ــ ض ــ ط ــ ظ ــ غ ــ ق ــ ر ــ كانت الفتحة مفخمة مساوية لحرف (A) الفرنسى ، واذا نطقنا بقية الحروف الهجائية كانت الفتحة مرققة مساويـة للحرف الفرنسى (è) ، وكذلك الامر بالنسبة للفتحة الطويلة ، اى الالف مع الحروف المذكورة ، فنحن نقول (خالد صالح راحل ظالم ضائع طالب غائل قاعد) فان الالف تساوى (A) أما مع بقية الحروف فان هذه الالف تكون مرققة مساوية للحرف (è) مثل : بائع ــ تائب ــ ثابت ــ جائر ــ دائب ــ ذاهب ــ زائل ــ كامل ــ لائم ــ مائع ــ نائم ــ عائم ــ فائق ــ سائل ــ شاهد ــ واهب ــ يائس .

لكنا نلاحظ أن معظم هذه الاحرف السابقة تفخم بعدها النصبة والالف اذا ورد بعدهما حرف (الراء) فنقول : بارت ــ تارة ــ ثار ــ جار ــ حار ــ زار ــ مار ــ نار ــ عار ــ فار ــ سار ــ . وقد يقع هذا التفخيم مع بقية حروف التفخيم الآنفة الذكر .. وقد

(*) صواب البيت الذى يستقيم به السبك هو : وانى وان كنت الاخير زمانه .. (اللسان العربى).

لا تفخم بعض الحروف حتى مع حرف الراء .. وهذا موضوع يحتاج الى كثير من الدراسة والتحرى والتدقيق ..

واللغة التى تريد أن تكون لغة حية يجب أن لا تبقى صوائتها خاضعة للغرف فنحن نعرف كيف نقرأ كلمة (باب) وكلمة (بارّ) وكلمات : (تال طارق) (وجاء سالم) ولكننا لا ننتبه الى اننا تارة ننطق الالف مفخمة وتارة ننطقها مرققة وتل مثل ذلك فى الفتحة فى (طرق) و (اكل) .. ان هذا الفرق لا نشعر به نحن العرب الذين عاشرنا هذه اللغة وعاشرتنا السنوات الطوال ، ولكن الذى يشعر بهذه المشكلة هم الذين يدرسون اللغة العربية من الاجانب ، فهم يدرسون فى البداية الفتحة على انها تساوى (è) مثل : بَ والالف فتحة طويلة تساوى (A) مثل (بار) ولكنهم سرعان ما يجدونها قد اصبحت (A) مثل (قَ) و (قَا) .

واذا اردنا نحن ان نكتب كلمة اجنبية لم تسمعنا الفتحة والالف ، فاذا اردنا ان نقول : (مال) (السيارة) فان القارىء سيقرأ الالف بعد الميم مرققة ، واذا اراد احد ان يكتب اسم (شاتو بريون) أو (لامرتين) فان العرف هو الذى يجعلنا نفخم الشين واللام فى بداية الاسمين ، ولو لم نكن نعرفهما لرققناهما ولقلنا : شاتوبريون ولامرتين بالترقيق ..

وقد سألنى ذات مرة شخص فقال لى : انا ادعى (فلان القرمازى) من صفاقس لكن الناس كلهم يرققون الميم فى اسمى فقلت ويرققونها فى كلمة (صفاقس ايضا) وسيظل فى اسمك هذا الاشكال ما لم يخترع العرب حرفا آخر يمثل الالف المفخمة ..

والملاحظ ان بعض بلاد المشرق يفخمون معظم الحروف الهجائية فيقولون (بغداد) و (الزمان) و (الشباب) فياليت شعرى ما الصحيح .. وياليت شعرى متى نظفر بالف مفخمة نستعملها الى جانب الالف المرققة وكذلك بفتحة مفخمة واخرى مرققة ..

ولقائل أن يقول : ان حروف الخاء والراء والصاد والطاء والظاء والغين والقاف هى حروف مفخمة بطبعها والحروف الباقية مرققة بطبعها ايضا فنقول له : هى كذلك ولكن يجب ان تكون لنا حركاتمضبوطة، فاننا نحتاج ــ عند كتابة كلمة دخيلة او معربة ــ الى هذه الحركات .. فقد نرقق حرفا مفخما وقد نفخم حرفا مرققا .

والملاحظ أن المشارقة أجرأ منا فى اخذ الالفاظ عن الغرب وعن كثير من اللغات .. فقد قدم لى شخص عراقى نفسه وقال (انه مدير قسم الدراما بالاذاعة العراقية) وهو يقصد قسم التمثيليات ، فاليم فى العربية حرف مرقق لكنه فى كلمة (الدراما) يجب تفخيمه حسب النطق الاجنبى . وقد اضحكنى أحدهم لما قرأ كلمة (ماما) بالترقيق بينما هى بالتفخيم (أى امى) ، والكلمات التى يجب تفخيم حرونها وهى فى الاصل مرققة ، كثيرة مثل : مالطة ، وباش حانبة ، ومدام (أى سيدة) بتفخيم الميم والالف بعد الدال .

وفى مصر ينطقون الحرفين مرققين (مدام) ونحن نقول : (البنك) (بفتحة مفخمة فوق الباء) وفى مصر يرققونها ، وكذلك السينما .

لقد اثبتت من البداية اننا فى حاجة ملحة الى ان ناخذ ما نحتاج اليه واعيد فاأكد : أن ناخذ ما نحتاج اليه من الكلمات كما فعل اجدادنا العرب فى عصر ازدهار لغتهم .. وقد قلت : ان الشرقيين أجرأ منا على ادخال الكلمات الاجنبية فى كتاباتهم وكلامهم .. وقد يستعملون كلمات اجنبية لا يحتاجون اليها لوجود ما يساويها فى اللغة العربية . فبعض قاعات العرض تعلن فى الجرائد هكذا : (فلمان فى برجرام واحد) عوض (شريطان فى برنامج واحد) وان كانت كلمة (برنامج) بدورها فارسية الاصل .. لكنها اصبحت عربية بالاقدمية (أما البورجرام) ــ ولست ادرى كيف اكتب حرف (القاء) فيها ــ (G a) فهى فرنسية لا يجوز للمحدثين ــ بل لا يجرأ المحدثون ــ على ادماجها فى العربية كما فعل القدماء بكلمة (البرنامج) وبغيرها .

وفى الشرق يقولون ايضا معلنين عن بعض البضائع : (هذا شيك وهذا اشيك منه) .. فقد عربوا هذه الكلمة وتصرفوا فيها وعاملوها معاملة الكلمات العربية الفصيحة ، ولو القى احدكم نظرة سريعة على الجرائد فى الشرق عموما لتبين له مدى اخذهم من اللغات المختلفة .. وحتى من العامية ايضا ، ففى كل قطر عربى كلمات لا نظير لها فى العربية الفصيحة ، فاذا اردت أن تكون واقعيا فى وصف الاشياء فى قصة تونسية صميمة فبماذا تسمى :

(القبقاب والبلغة والبلوزة والكدرون والميدة والبرويطة والزنقة والحلالم والطبيخة والشكشوكة والطسار والدربوكة والمقرونة والشكلاطة والبشكوطو ، الخ . .)

اذا كنت من انصار الفصاحة والصفاء اللغوى فانك ستمسخ الواقع وتجعل بعض شخصيات الرواية يذهب الى السوق وفى يده (سلة) عوض (قفة) ويلبس جبة وحذاء بدل (كدرون) و (بلغة) . ويشترى رطلا او رطلين من اللحم (بدل كيلو لحم) .

والملاحظ ان مقدار الرطل فى الشرق يختلف عن الرطل فى تونس ، وصدق المثل القائل : (كل بلاد وارطالها) وتجعله يشترى اشياء لها اسماء فصيحة عوض الاشياء التى ليس لها اسم فصيح ، ثم يعود الى المنزل لتطبخ له زوجته اكلة فصيحة — وما اقلها — مثل : الحساء ، او الثريد ، او الارز . اما المقرونة والبرغل والمحمص فلا سبيل الى طبخها عند من يؤمن بالصفاء اللغوى وبعدم ادخال الدخيل ، والعامى فى اللغة الفصيحة . ويكون الطبخ فى (قدر) عوض (كوكوت) وعلى كانون عوض غاز .

فى حين راينا العرب فى عصور ازدهار اللغة العربية قد اخذوا عن الفرس اسماء العشرات من الاكلات كالفالوذج واللوزينج والسكباج . . الخ .

ولم يكن العرب يعرفون هذه الاطعمة وطبعا لا يعرفون اسماءها . . وقد رووا ان عليا ابن ابى طالب اطعموه اكلة لذيذة فسال عن اسمها فقيل له : (الفالوذج) ، فقال : وما الفالوذج ؟ ، فقيل له : هو طعام المهرجان ، فقال : (اذن مهرجونا كل يوم) ، ورغم ذلك فان العرب — فى عهود ازدهارهم الحضارى واللغوى كانوا يستعملون هذه الاسماء فى كتاباتهم . . ويكفى ان تنظر الى كتاب البخلاء للجاحظ والى غيره لتلمس صدق ذلك .

وانا اومن بالتوسط ولست مع الشاعر الذى قال :

ونحن اناس لا توسط بيننا
لنا الصدر دون العالمين او القبر

فلا اومن بوجوب ادخال كل لفظ اجنبى او عامى الى اللغة العربية بل يجب ان ناخذ ما تدعو اليه الحاجة الى اخذه لان اللغة كائن حى يجب ان يعبر عن الحياة بشىء كثير من الحوية والواقعية ، وان لا نعيش اليوم باسماء الامس البعيد . .

روى لى الاديب القصاص التونسى البشير خريف قال : ذهبت لاشترى (ثلاجة) فقال لى البائع : هذه (الفريجيدير) تمتاز بكذا ، فقلت له : قل (ثلاجة) عوض (فريجيدير) ، فقال : ان مخترعها سماها (فريجيدير) فلماذا تريد تسميتها (ثلاجة) ؟ فاخترعها انت وسمها ما شئت . وانا لست مع هذا البائع فى وجوب اخذ جميع الاشياء كما سماها الاجانب بل يجب تعريب ما امكن تعريبه كالثلاجة والهاتف — وان كانت الاغلبية تستعمل التليفون اكثر من استعمالها للهاتف.

ان اللغة كائن حى لا يستطيع ان ينتظر ما توصى به المجامع اللغوية فى تسمية الاشياء او تعريبها . . فالذين يتحكمون فى التطور اللغوى — فى معظم الاحيان — هم الصحافيون الذين لا تمهلهم صحفهم اليومية ليعرفوا ماذا قال المجمع اللغوى فى تسمية (الفيراندة) و (الكوكوت) و (البلكون) وغيرها من الاشياء .

ان العرب — فى الجاهلية وفى صدر الاسلام — كانوا ياخذون الاشياء بالاسم الذى وضعه لها صانعوها ، فعند ما جاءهم من فارس (الاستبرق) اخذوه باسمه ولم يحاولوا تعريبه لان صانعيه سموه كذلك وامثال ذلك : (الاستبرق الزبرجد والفيروز والجام) وغيرها كثير .

ولما استورد العرب المرآة من بلاد الروم سالوا عن اسمها فقيل لهم : (سجنجل) فاخذوا هذا الاسم ولكنه لم يشع وقد استعمله امرؤ القيس فى معلقته حيث قال :

..... ترائبها مصقولة كالسجنجل

لا ضير على اللغة العربية من الدخيل والمعرب ومن العامى الذى لا مندوحة منه ، ولنا فى كتاب الله اسوة حسنة ، فقد سبق ان بينا ان فى القرآن الكريم مائة وسبعة وخمسين لفظة دخيلة كان فى الامكان تجنب الكثير منها بابدالها بما يرادفها فى العربية الفصيحة . . اوليس العرب والمسلمون فى شتى

اقطار العالم يرددون فى صلواتهم كل يوم خمس مرات على الاقل كلمة يونانية الاصل فى سورة الفاتحة هى كلمة (الصراط) ؟ !

فماذا يضير العربية اذا رددت الكلمات الضرورية التى تبعث فيها الحياة وتجعلها لغة حية ؟ !

ان الفارسية مليئة الآن بمآت الالفاظ العربية فضلا عن الالفاظ الآتية من لغات اخرى ..

والفرنسية تحتوى على مآت الالفاظ الانجليزية وغيرها من اللغات ..

والتركية مليئة بالالفاظ العربية وبغيرها من الفاظ اللغات الاخرى ..

وجميع اللغات لا تخلو من الالفاظ الدخيلة التى ساهمت فى جعلها لغة حية ثرية ..

والعربية نفسها قد اعطت معظم اللغات من الفاظها مالا يستطيع احد نكرانه ..

ولم نجد لغة فى الدنيا استنقصت لانها اخذت من غيرها بل ان عدم اخذها من الغير هو الذى يجعلها فى عداد اللغات الميتة فهل نحن موافقون على أن نجعل لغتنا لغة حية مواكبة للحضارة .. أم نحن متشبثون بالرصيد اللغوى القديم فللاسد كذا من الاسماء والنعوت وللسيف كذا من الاسماء والنعوت والبعير كذا من الاسماء والنعوت .. ثم لا نبحث عن اسماء الاشياء الجديدة ونظل ننتظر توصيات المجامع اللغوية مكتفين بترديد قول حافظ ابراهيم على لسان اللغة العربية :

انا البحر فى احشائه الدر كامن
فهل سألوا الغواص عن صدفاتى ؟

وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن آى به وعظات
فكيف اضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق اسماء لها ومخترعات ؟ *

ويجب ان لا ننسى قول حافظ فى نفس هذه القصيدة على لسان العربية :

فلا تكلونى للزمان فاننى
اخاف عليكم ان تحين وفاتى

فاننا ان فعلنا ذلك ظلت الحياة تسير فى وادى الحياة متدفقة سريعة وظلت اللغة نائمة فى (لسان العرب) منتظرة ابن منظور جديد ..

وما اكثر ما دون ابن منظور ، وامثاله من اصحاب القواميس فى قواميسهم من الالفاظ الجديدة المواكبة للحياة فى زمانهم ، فرحم الله الاوائل الذين ازدهرت العربية فى ايامهم .. وهدى الله المحدثين ليقتدوا بالسلف الصالح فى تطوير العربية .

واخيرا فان هذا الموضوع له فروع وذيول يجب ايضاحها من التفصيل منها وجوب شكل جميع الكلمات لان الكلمة المشهورة عن اللغة العربية وهى : (انها لغة تفهم ثم تقرا) كلمة صحيحة لكن فى مستوى من يجيد العربية اما من كان يعرفها معرفة متوسطة فانه لا يستطيع ان يقراها لانه لا يستطيع ان يفهم قبل ان يقرا . لذلك يجب ان نشكل جميع الحروف لنضمن لكتابتنا الرواج وكثرة القراء ..

كما يجب ايجاد اصطلاحات اخرى او حروف اخرى تمكننا من كتابة بعض الكلمات الدخيلة ..

كما يجب تطوير المطابع والعمل بمقترحات المتحمسين المخلصين لتطوير اللغة العربية وطريقة كتابتها ..

---

* صواب الشطر الثانى هو : وتنسيق اسماء لمخترعات — (اللسان العربى) .